الواقعية السحرية في بناء الشخصيات في رواية ابن آدم لواميتيلا

أ. مصطفى محسن[*]

أ.د. نجوى عمر [**] **أ.د. علي اللبودي** [***]

• **مُلخص:**

الواقعية السحرية هي تيار أدبي نشأ في سياقات ما بعد الاستعمار التاريخية منها والثقافية، ويُستخدم أداة فنية لكشف تناقضات الواقع من خلال دمج العناصر الخارقة في الحياة اليومية بشكل طبيعي في الأعمال الأدبية. يتجاوز هذا الاتجاه الحدود التقليدية بين الحقيقي والمتخيل، وبين الواقع والخرافة، ويُبرز قدرته على تقديم رؤى بديلة للواقع، مما يتيح فهماً أعمق للسلطة والتاريخ والوعي الجمعي، ويمنح المجتمعات المهمّشة وسيلة للتعبير عن تجاربها بلغتها وسياقها الخاص. وفي رواية ابن آدم للكاتب الكيني كيالو واميتيلا، تُوظَّف الواقعية السحرية لبناء عالم أدبي يُجسّد الصراع الداخلي للإنسان الإفريقي بين الهوية والانتماء من جهة، وتأثيرات الحداثة والعولمة من جهة أخرى. تميزت الرواية بتوظيف الواقعية السحرية لرسم شخصيات ذات أبعاد نفسية ورمزية تعكس الصراع بين التقاليد الإفريقية والواقع المعاصر، حيث تداخلت العوالم الواقعية بالأسطورية لتجسيد هذا التوتر. وفي هذا البحث، سيتم مناقشة كيفية بناء هذه الشخصيات ضمن إطار الواقعية السحرية، وبيان دور هذا الأسلوب في إبراز تعقيد الهوية والتغيرات المرتبطة بما بعد الاستعمار.

الكلمات المفتاحية: الواقعية السحرية، كيالو واميتيلا، بناء الشخصيات، ابن آدم، الرمزية

---

[*] معيد بقسم اللغات الإفريقية بكلية ألسن – جامعة عين شمس

[*] أستاذ الأدب المقارن بكلية الألسن – جامعة عين شمس

[*] أستاذ الأدب السواحيلي بكلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

Magical Realism in Character Construction in Wamitila's Bina-Adamu

Mustafa Mohsen

Prof. Dr. Nagwa Omar Prof. Dr. Ali Alibboudy

- **Abstract**

Magical realism is a literary mode that emerged within postcolonial contexts, and is employed as an artistic tool to reveal the contradictions of reality by naturally integrating supernatural elements into the fabric of everyday life in literary works. This narrative strategy transcends the conventional boundaries between the real and the imaginary, offering alternative perspectives on reality. It enables a deeper understanding of power, history, and collective consciousness, while also providing marginalized communities with a means to express their experiences in their own language and cultural framework. In the novel *Bina-Adamu* by the Kenyan writer Kyallo Wamitila, magical realism is used to construct a literary world that reflects the inner conflict of the African individual—torn between identity and belonging on one hand, and the forces of modernity and globalization on the other. The novel is distinguished by its use of magical realism to shape characters with psychological and symbolic depth, embodying the tension between African traditions and contemporary realities. Through the blending of the real with the mythical, this tension is rendered tangible. This study examines how these characters are constructed within the framework of magical realism and explores the role of this narrative mode in articulating the complexity of identity and the transformations associated with the postcolonial condition.

Keywords: Magical Realism, Kyalo Wamitila, Characters, Bina-Adamu Symbolism

- **مقدمة:**

تُعدّ الواقعية السحرية من الاتجاهات السردية التي تدمج العناصر الخارقة وغير المألوفة في عالم واقعي دون إحداث قطيعة أو تناقض بينهما، إذ تتداخل العجائبية بالسياق الطبيعي بطريقة تلقائية لا تُثير دهشة الشخصيات داخل النص، بل تُعد جزءًا من واقعها المعاش[1]. وتُسهم هذه السمة في إعادة تشكيل مفهوم "الطبيعة" داخل المتن السردي، بحيث تصبح الظواهر الخارقة امتدادًا لما هو مألوف. وفي هذا الإطار، تُعدّ الشخصيات محورًا أساسيًا في تحقيق هذا الدمج، إذ يُلاحظ أن الواقعية السحرية لا تعتمد فقط على إدخال السحر في العالم الواقعي، بل تُعنى كذلك ببناء شخصيات تنتمي إلى هذا العالم الهجين بين الواقع والخيال. فغالبًا ما تُرسم هذه الشخصيات ضمن خلفية غامضة وغير واضحة المعالم، من حيث أسماؤها أو هويتها أو أدوارها، ما يعمّق من الإحساس بالغموض الذي يلفّ البنية السردية عامة[2]، ويُضاف إلى ذلك أن التباين بين البيئات، كالتنقل بين الريف والحضر أو بين العالم الغربي والعالم التقليدي، يُتيح للشخصيات أن تتحرك في فضاءات مختلفة، حيث تظل الظواهر الخارقة للطبيعة محتفظة بحضورها في كليهما، مما يمنح هذه الشخصيات طابعًا متجاوزًا للحدود المكانية أو الثقافية[3]. ومن أبرز سمات الواقعية السحرية أيضًا في بناء الشخصيات أنها تُرسم بدقة واقعية تجعلها قابلة للتصديق، غير أن هذه الدقة لا تُلغي منحها صفات مزدوجة تجمع بين خصائص بشرية طبيعية وقدرات خارقة للطبيعة، كأن تُمنح القدرة على استشراف المستقبل أو يُدمج فيها المعقول واللامعقول، مما يُنتج شخصية متعددة الجوانب ولكنها منسجمة مع طبيعة العالم السردي الذي تنتمي إليه[4].

---

[1] H.P. Suma, "Magical Realism: Fascinating World of Evolving Imagery, " *International Journal of Creative Research Thoughts* 6, no. 4 (2018): 381, accessed June 23, 2024, http://www.ijcrt.org

[2] Amir Rajabi, Mohammad Azizi, and Mahdi Akbari, "Magical Realism: The Magic of Realism," *Rupkatha Journal on Interdisciplinary Studies in Humanities* 12, no. 5 (2020), https://dx.doi.org/10.21659/rupkatha.v12n2.18

[3] Brenda Cooper, *Magical Realism in West African Fiction: Seeing with a Third Eye* (New York: Routledge, 2004), 15–16.

[4] Amir Rajabi, Mohammad Azizi, and Mahdi Akbari, Op.Cit.

وتتميز رواية ابن آدم للكاتب الكيني كيالو واميتيلا بتوظيفها للواقعية السحرية بصفتها أداة فنية فعّالة في بناء شخصياتها، حيث أسهم هذا التوظيف في إضفاء أبعاد نفسية، وثقافية، ورمزية عميقة على تلك الشخصيات، وجعلها تتجاوز حدود النماذج التقليدية في السرد. من خلال الواقعية السحرية، نجحت الشخصيات في الجمع بين الماضي والحاضر، إذ مثّلت حالة من التكامل بين العادات والتقاليد الإفريقية من جهة، والعقلية المعاصرة من جهة أخرى، وهو ما أتاح تجسيد الصراعات الداخلية التي تواجهها الشخصيات في ظل التغيرات الكبرى التي فرضتها الحداثة والعولمة. وقد تم التعبير عن هذا الصراع بأساليب سردية مميزة، مثل ظهور الأرواح والأصوات، وتداخل العالم الواقعي مع عالم الأسطورة والخرافة، بما يعكس جوهر الواقعية السحرية. علاوة على ذلك، أُعيد توظيف الشخصيات في الرواية لتكون بمثابة مرايا تعكس مشكلات اجتماعية معقّدة، دون أن تفقد ارتباطها بجذورها الثقافية الإفريقية. وبذلك، تحوّلت إلى رموز لقيم إنسانية عليا كالشجاعة، والتمسك بالحقيقة، والسعي إلى التحرر، مما منحها طابعًا رمزيًا وغامضًا يُحفّز القارئ على إعادة التفكير في هويتها ومعانيها العميقة. وانطلاقًا من هذه الرؤية، ويتناول هذا البحث أبرز شخصيات الرواية، لا من خلال عرضها السردي التقليدي، بل عبر تحليل كيفية تشكّلها في إطار الواقعية السحرية، والطريقة التي تماهى فيها الواقع مع الخيال في رسم ملامحها وسلوكياتها، مما أضفى عليها ثراءً وتعقيدًا وجعلها أكثر تعبيرًا عن الواقع الإفريقي في ظل التحولات المعاصرة[1].

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الكيفية التي تُبنى بها الشخصيات في رواية ابن آدم ضمن إطار الواقعية السحرية، وذلك من خلال تتبّع الأبعاد السردية التي تجعل من الشخصية بُنية مزدوجة، تجمع بين الواقعي والعجائبي، وبين المعقول واللامعقول، في سياق أدبي ينتمي إلى ما بعد الاستعمار ويستلهم تقاليد الثقافة الإفريقية وأساطيرها المحلية. تنطلق الدراسة من فرضية أن الشخصيات في الرواية لا تُقدَّم بوصفها كيانات

[1] Faustine S., *Falsafa ya Waafrika na Ujenzi wa Mtindo wa Uhalisiajabu katika Riwaya ya Kiswahili* (Dodoma: Chuo Kikuu cha Dodoma, 2017), P.146.

نفسية أو اجتماعية مستقلة فحسب، بل تتحوّل إلى رموز مشحونة بالمعنى، تتقاطع فيها تجليات الهوية الفردية والجماعية، كما تتكشّف من خلالها توترات الحداثة والذاكرة الجمعية والتاريخ المسكوت عنه. ومن خلال هذا المنظور، تسعى الدراسة إلى الكشف عن وظيفة الواقعية السحرية في تشكيل الشخصية، لا بوصفها تقنية زخرفية، بل باعتبارها وسيلة لتفكيك التصنيفات الجاهزة، وتوسيع أفق التمثيل السردي لما هو إنساني في سياق ما بعد استعماري.

ويعتمد هذا البحث على الواقعية السحرية أداةً تحليلية يمكن الاعتماد عليها لفهم النصوص الأدبية، خاصة في سياقات ما بعد الاستعمار، وذلك من خلال مقاربتين رئيستين: المقاربة السياقية والمقاربة الرمزية. فالمقاربة السياقية تنطلق من تحليل النص ضمن شروطه الثقافية والتاريخية والاجتماعية المرتبطة بسياق ما بعد الاستعمار، حيث تُفهم الواقعية السحرية بوصفها استراتيجية لمساءلة الواقع وتفكيك الخطابات المهيمنة، لا سيما الاستعمارية منها، كما تشير زامورا وفاريس[1]، ويُوضح ذلك وارنز في تحليله للرواية الإفريقية ما بعد الاستعمارية[2]. أما المقاربة الرمزية، فتركز على كشف الأبعاد الرمزية للأسطورة والعناصر الخارقة، بوصفها أدوات فنية تسعى لتفكيك أنساق السلطة والمعنى، وتمنح النص إمكانيات لتوليد دلالات بديلة تتصل بالهوية والذات، وفقًا لما طرحه سليمن[3]، وتدعمه رؤية فاريس لمفهوم "إعادة التقديس" في السرد السحري[4]. وتنقسم هذه الدراسة إلى مبحثين:

- المبحث الأول: الواقعية السحرية في الرواية السواحيلية
- المبحث الثاني: بناء الشخصيات في رواية ابن آدم

---

[1] Lois Parkinson Zamora and Wendy B. Faris, Magical Realism: Theory, History, Community (Durham: Duke University Press, 1995), P.2.

[2] Christopher Warnes, Magical Realism and the Postcolonial Novel: Between Faith and Irreverence (London: Palgrave Macmillan, 2009), PP.2–5, 102–105.

[3] Stephen Slemon, "Magic Realism as Postcolonial Discourse," Canadian Literature, no. 116 (1988): PP.11–20.

[4] Wendy B. Faris, Ordinary Enchantments: Magical Realism and the Remystification of Narrative (Nashville: Vanderbilt University Press, 2004), P.79.

المبحث الأول: الواقعية السحرية في الرواية السواحيلية

تزدهر الواقعية السحرية، كما توضح الناقدة بريندا كوبر، في المجتمعات التي تمرّ بمرحلة انتقالية تتسم بالتحول وعدم الاستقرار، حيث تتقاطع الرأسمالية المتنامية مع آثار الأنظمة السابقة، خصوصًا في الدول التي خرجت لتوّها من حقبة استعمارية. وتظهر هذه الواقعية بشكل لافت في البيئات التي تتداخل فيها الثقافات واللغات، وتُفرض عليها أنماط تحديث انتقائية لا تشمل المجتمع بأسره. فبينما تتوفّر البنى التحتية الحديثة في المناطق الغنية بالموارد، تبقى مناطق أخرى معزولة ومهمّشة، وهو ما يؤدّي إلى انقسام اجتماعي حاد: أفراد تلقوا تعليمًا غربيًا مقابل آخرين لا يزالون متمسّكين بأنماط الحياة والتفكير التقليدية. هذه الفجوة، وفقًا لكوبر، أنتجت واقعًا اجتماعيًا مهلهلًا يشبه ما تصفه بعملية "الترقيع"، وهي الخلفية التي ساهمت في بروز الواقعية السحرية بصفتها وسيلة أدبية لصياغة تاريخ بديل، والتعبير عن واقع متصدّع لا تستوعبه الأشكال السردية التقليدية[1]. وقد أكد الروائي السواحيلي المعاصر سعيد أحمد محمد هذا التحليل من خلال تجربته في تنزانيا، مشيرًا إلى أن محاولة بناء مجتمع زراعي أخلاقي بعد الاستقلال اصطدمت بتحديات العولمة المفروضة بشكل تعسفي، مما أنتج حالة من الاضطراب القيمي والفكري. ويشير إلى أن تلك البيئة غير المستقرّة وفّرت للروائيين وعيًا نقديًا مكّنهم من استثمار التناقضات الحادة بين الأمل واليأس، وبين التماسك والانقسام، لخلق سردية تعتمد على تلاقي المتناقضات داخل بنية سحرية هجينة[2]. وبحلول تسعينيات القرن الماضي، أصبحت الواقعية السحرية اللغة الأدبية لمرحلة ما بعد الاستعمار، واتجه العديد من الروائيين السواحيليين إلى تطويع هذا الشكل السردي من أجل دمج العناصر العالمية والمحلية ضمن بنية سردية تعكس هوية قومية فريدة. وبناء على هذا فإن الواقعية السحرية تتيح للكتّاب الأفارقة تأكيد الهوية الثقافية وإبراز

[1] Brenda Cooper, Op.Cit.

[2] Said A. M. Khamis, "The Swahili Novelist At the Crossroads: The Dilemma of Identity and Fecundity," *Swahili Forum*, no. 14 (2007): 165–80, https://doi.org/https://d-nb.info/1238077730/34.

الاختلاف عن المنظور الأوروبي[1]. كما يمكن استخدامها لاستكشاف العلاقة بين التقاليد والحداثة، حيث تُعد وسيلة لفهم "تحديث التقليد" و"تقليد الحداثة"[2]. ويُعد هذا الأسلوب مناسبًا أيضًا لاستكشاف الحدود وتمثيل القضايا الاجتماعية والسياسية التي تميّز المجتمعات الخارجة من الاستعمار، ومؤخرًا، ربط بعض النقاد بين الواقعية السحرية وتمثيل الصدمة، لا سيما الصدمة الاستعمارية[3]. وبناء على ذلك يمكن القول إن الواقعية السحرية في الأدب السواحيلي تُعرّف بوصفها أسلوبًا سرديًّا يُدمج فيه الخيال والعناصر السحرية بعالم واقعي مألوف، بحيث تظهر الأحلام والتحولات الزمنية المفاجئة جزءًا طبيعيًا من السرد[4]. وتستند الواقعية السحرية إلى استخدام تقنيات مثل القصص الخرافية والأساطير، والبعث غير المبرر للشخصيات المتوفاة، مما يتيح للروائيين السواحيليين بناء صورة "واقعية" تنقل أزمات مثل فقدان الحرية في دول العالم الثالث[5]. كما تُستخدم هذه التقنية لنقد مفاهيم الحداثة الغربية وتمثيل التوترات الناتجة عن الحداثة والتحضر[6]، ويُنظر إلى الواقعية السحرية أيضًا بصفتها اتجاهًا مناهضًا للواقعية التقليدية، حيث تعبر عن أزمات الهوية والتاريخ في سياق تراث شرق أفريقي ثقافي وديني[7]. ومن السمات الرئيسة للواقعية السحرية في الأدب الأفريقي:

---

[1] Zamora and Faris, Op.Cit. PP.427-428.

[2] Said A. M. Khamis, "Fragmentation, Orality and Magic Realism in Kezilahabi's Novel *Nagona*," *Nordic Journal of African Studies* 12, no. 1 (2003): P.88.

[3] M. K. Takolander, "Theorizing Irony and Trauma in Magical Realism: Junot Díaz's *The Brief Wondrous Life of Oscar Wao* and Alexis Wright's *The Swan Book*," *ARIEL: A Review of International English Literature* 47, no. 3 (2016): P.95, https://doi.org/10.1353/ari.2016.0024.

[4] Alomo Seth Ochieng, Wendo Nabea, and Gwachi Mayaka, "Is Globalisation a Representation of Leadership Havoc in Developing Countries? The View of Modern Kiswahili Novelists: Said A. Mohamed and W. K. Wamitila," Scholars Journal of Arts, Humanities and Social Sciences 4, no. 7 (2016): P.807, https://doi.org/10.21276/sjahss.2016.4.7.9.

[5] Ibid., P.809

[6] Olakunle George, Op.Cit. P.91.

[7] Said A. M. Khamis, Op.Cit. P.88.

تحويل الأمور الخارقة للطبيعة إلى أمور طبيعية: حيث تُدمج العناصر الأسطورية أو الخيالية بسلاسة في سرد واقعي في الظاهر. وغالبًا ما تُعرض السحرية والواقعية على قدم المساواة[1].

طمس الحدود: غالبًا ما يطمس السرد الفاصل بين العوالم المختلفة، مثل عالم الأرواح وعالم الأحياء. وفي بعض الحالات، يُصوّر عالم الأرواح على أنه أكثر واقعية من العالم اليومي[2].

الاتصال بالشفهية والمعتقدات التقليدية: تستمد العناصر السحرية كثيرًا من أنظمة المعتقدات الأفريقية التقليدية والثقافة الشفهية والفولكلور. وينتج عن ذلك في كثير من الأحيان ما يُوصف بأنه واقعية سحرية "قائمة على الإيمان" أو "أنطولوجية"، تسعى لوصف واقع يتجاوز الواقعية السردية التقليدية، وتأخذ بجدية الادعاءات الخارجة عن منطق العقل[3].

اللغة والأسلوب التجريبي: بعض الكتّاب يجربون اللغة من خلال تطويع تراكيب اللغة الإنجليزية وتعبيراتها لتتماشى مع لغة أفريقية[4].

تحدي العقلانية: يمكن لهذا الأسلوب أن يتحدى تقنيات العقل المرتبطة بالكشف والتدقيق في الأحداث، عبر إدماج قوى أو شخصيات روحية في السرد[5].

ومن أبرز الأمثلة رواية ابن آدم Bina-Adamu للكاتب الكيني كيالو واميتيلا التي صدرت عام 2002، حيث تمثّل نموذجًا متقدّمًا لتجربة الواقعية السحرية في الأدب السواحيلي. ففي هذه الرواية، تتداخل الشخصيات الغرائبية مع الحياة اليومية، وتُطرح وقائع خارقة للطبيعة ضمن سياق سردي لا يقدّم لها أي تفسير عقلاني، بل يعاملها

[1] Christopher Warnes, Op.Cit. P.151.
[2] Christopher Warnes, Op.Cit. P.128.
[3] Ibid., P.49.
[4] Olakunle George, ed., *A Companion to African Literatures* (Hoboken, NJ: Wiley-Blackwell, 2021), P.326.
[5] Ibid., P.329

بوصفها جزءًا طبيعيًا من الواقع، وهو ما يعكس خصائص الواقعية السحرية كما حدّدها المنظّرون. وتتجلّى الواقعية السحرية في ابن آدم عبر بنيات سردية تسعى إلى تفكيك الثنائيات التقليدية التي فرضها النموذج الغربي مثل: الواقعي والخيالي، والعقلاني والخرافي، الوطني والاستعماري، وذلك من خلال توظيف شخصيات ذات طبيعة رمزية تتجاوز التصنيفات الثابتة. فكل شخصية في الرواية تحمل بُعدًا سحريًا متجذرًا في الموروث الثقافي والأدبي الإفريقي، وتُسهم في تقديم رؤية بديلة للواقع السياسي والاجتماعي المعاصر. وبناءً على ذلك، سيكون من الضروري في المبحث التالي تحليل أبرز هذه الشخصيات، ورصد كيفية تشكّلها سرديًا ضمن إطار الواقعية السحرية، للكشف عن الأبعاد الرمزية والفكرية التي تختزنها كل شخصية في بنيتها الفنية ووظيفتها داخل النص.

المبحث الثاني: بناء الشخصيات في رواية ابن آدم

تتسم الشخصيات في رواية ابن آدم ببنية مركبة تمزج بين الواقعي والمتخيل، وتُستحضر في سياق سردي يسلك نهج الواقعية السحرية. فبعض هذه الشخصيات تنتمي إلى عالم الواقع المعروف، لكنها تعود في الرواية بروح جديدة، حاملة دلالات رمزية ورسائل ضمنية تعزز من الطابع التأويلي للنص. كما تتجلى في شخصيات أخرى ملامح تجريدية، إذ تُمثّل أفكارًا أو تُجسّد مفاهيم وجودية وفلسفية، ما يجعلها تتجاوز الأبعاد التقليدية للشخصية الروائية. وفي ظل هذا التنوّع، تغدو دراسة هذه الشخصيات مدخلًا لفهم الكيفية التي تُستخدم بها الواقعية السحرية لبناء الشخصيات من أجل طرح قضايا مثل الهوية، والسلطة، والتاريخ، والانتماء.

أبرز شخصيات الرواية:

1. **شخصية البطل (ابن آدم):** أبرز شخصيات الرواية وأهمها هو البطل، ويسمى كذلك بالمسافر، وأيضًا ابن آدم لأنها تمثل المحور الأساسي الذي يدور حوله السرد، وتتمثل أهمية تلك الشخصية في كونها تجسيدًا للبحث عن الحقيقة والهوية، وقد اختار واميتيلا أن يسمي بطله "ابن آدم"، وهو اسم ذو دلالة عالمية، مما

يضفي طابعًا رمزيًا على الشخصية، حيث يجمع بين الفردية والعالمية في آنٍ واحد. البطل ليس مجرد شخصية مركزية بل هو نافذة يعكس الكاتب من خلالها الصراعات الاجتماعية والثقافية التي تواجه المجتمعات الإفريقية المعاصرة، وتتميز شخصية البطل المسافر بسمات عدة منها:

- **كونه رمزًا للبحث عن الحقيقة:** هدف المسافر الأساسي – العثور على الأبناء الثلاثة الخنثى وفهم حقيقتهم لإنقاذ قريته من البلاء، والمقصود بالقرية في الرواية هو قارة إفريقيا بأكملها. يرمز ذلك إلى سعي الإنسان الدائم نحو فهم أعمق للذات والعالم. وأما رحلته، فهي استعارة للبحث عن الحقيقة الشاملة التي تجمع بين الواقع والسحر، أي بين المعتقدات الشعبية وطبيعة عالم الواقع المعاصر وفي ذلك تمثيل للواقعية السحرية. والحقيقة أن بطل الرواية لم يحدد له اسم شخصي لغرض محدد، فقد نادته الشخصيات المساعدة باسم ابن آدم على مدار الرواية، ويتمثل هذا الغرض في رغبة الكاتب أن يرمز البطل إلى الإنسان في أنحاء العالم؛ الإنسان بسماته البشرية من فضول وحب للاستكشاف وبحث عن الحقيقة، كما أدمج الكاتب في سمات البطل جانبًا رحيمًا يرأف بحال من يقابله من شعوب العالم المضطهدة التي تعاني ظروفًا قهرية من الظلم والاستبداد الناتج عن الاستعمار الجديد والعولمة الناتجان عن سياسات الولايات المتحدة الأمريكية المهيمنة على العالم في عصرنا الحديث:

"Niliishia kutokwa na matone kadha ya machozi baada ya yule mzee kukumaliza kile kisa."[1]

"ولقد انهمرت دموعي بعد أن انتهى ذلك الشيخ من قصته."

ويجسد هذا الاقتباس لحظة تعاطف إنساني عميقة تكشف الجانب الرحيم في شخصية البطل، حيث تمثل دموعه استجابة وجدانية لمعاناة الشعوب المضطهدة. وهذا الانفعال يرسّخ رمزية البطل بصفته صوت للإنسان العالمي الحامل لهموم المقهورين في عصر العولمة، ويعكس وعيه العميق بالظلم التاريخي وضرورة السعي للتغيير.

[1] K. W. Wamitila, *Bina-Adamu* (Nairobi: Phoenix Publishers, 2002), Uk.125.

- **التكامل بين العادات والتقاليد الشعبية والعقلية المعاصرة:** يمثل المسافر قيمًا عالمية كالشجاعة والمثابرة، لكنه في الوقت ذاته يحمل هموم مجتمعه الإفريقي، مما يجعله شخصية ذات أبعاد متعددة تتجاوز الفردية إلى الجماعية. كما يتمثل في شخصية البطل التكامل بين العادات والتقاليد والعقلية المعاصرة ويظهر ذلك من خلال ارتباطه بالموروث الثقافي. يظهر البطل في صورة المنقذ المستوحى من الأساطير الشعبية الإفريقية، حيث يستدعي التراث ليكون مرجعًا وداعمًا له في رحلته فيتذكر أقوال جدته التي سمعها في صغره عندما كان طفلًا في القرية إلى جانب الأمثال الشعبية التي يحفظها من التراث الإفريقي ويستعين بها فيما يلائمها من المواقف التي يصادفها في رحلته. كذلك يصاحب البطل على مدار رحلته صوت مجهول الهوية يرشده إلى الطريق ويقوّمه بالشدة واللين؛ فتارة يصفعه ويركله ويصرخ فيه، وتارة يمده بالأدوات التي تعينه في رحلته وترشده مثل القارورة التي يشرب منها البطل فيستمد الشجاعة والمثابرة، وكذلك العصا التي يسترشد بها. إن هذا الصوت المصاحب يمثل الأجداد والآباء في البيئة الإفريقية ودورهم في تهذيب الصغار وإرشادهم، ومن خلاله يظل الموروث الثقافي حاضرًا مع البطل على مدار الرحلة للبحث عن الحقيقة. على الجانب الآخر تتكامل العقلية المعاصرة مع العادات والتقاليد في شخصية البطل؛ فعلى الرغم من ارتباطه بجذوره الثقافية، فإن المسافر يواجه تحديات فرضتها التغيرات العالمية مثل العولمة والصراعات السياسية والاجتماعية. يتعامل مع هذه التحديات من خلال التفكير التحليلي والنقدي، مما يُظهر دمج الكاتب بين العقلية التقليدية والعقلية المعاصرة. الجدير بالذكر أن هذا التكامل يتجلى في الصراع الداخلي داخل عقلية المسافر، حيث يجد نفسه ممزقًا بين الالتزام بتقاليد مجتمعه وضرورة مواجهة قضايا حديثة ومعقدة. هذا الصراع لا يُقدم في صورة فكرة فقط، بل يظهر ملموسًا من خلال عناصر الواقعية السحرية، مثل الأرواح والنصائح التي تعكس الأصوات المتناقضة داخل عقله:

"Siku hiyo kabla ya kwenda kulala, babu alinikabidhi mkoba na kuniambia, 'Utunze huu, ndani mna utu, mapenzi na kiini cha

kuwako kwako. Mkoba huu utakufaa sana siku zijazo. Usiudharau kwa sura yake; mwacha asili ni mtumwa!"[1]

"وفي هذا اليوم قبل أن أخلد إلى النوم، أعطاني الجد حقيبة وقال لي: 'حافظ عليها، ففي داخلها الإنسانية، والحب وجوهرك الأصيل. وستنفعك هذه الحقيبة جدًا فيما هو قادم. لا تستخف بمظهرها؛ فالعبد هو من يتخلى عن أصله!"

ويتضح من خلال الاقتباس كيفية استعانة البطل بالقيم الأصيلة، وحكمة الأجداد والرموز التراثية المتمثلة في الحقيبة، للتعامل مع التحديات القادمة التي ستواجهه في رحلته للبحث عن الحقيقة، مما يجسد التكامل بين العادات والتقاليد والعقلية المعاصرة في شخصيته.

- **قدرات سحرية في عالم واقعي:** على الرغم من كون البطل شخصية بشرية، فهو يتمتع بقدرات خارقة[2] تمكنه من التواصل مع الأرواح، واستحضار رؤى الأجداد، وأداء معجزات مثل السباحة في النهر الجارف رغم جهله بالسباحة. كما يتميز بقدرته على التنقل بين الأزمنة والأماكن دون قيود، مما يعكس تداخل الواقعية السحرية مع مفهوم الزمن في الرواية. نجد البطل ينتقل بين القرى الإفريقية البلاد المختلفة مثل اليابان والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي أو روسيا حاليًا، مما يجعل رحلته مزيجًا من الواقعية والسحرية.
- **البطل والواقع الروحي:** تستند الرواية إلى التقليد الإفريقي الذي يؤمن بوجود الأرواح وتفاعلها مع العالم المادي، ويتجلى ذلك في شخصية البطل الذي يحظى بمرشدين روحيين طوال رحلته، ويظهر ذلك في شخصيات مثل الجد في قرية الأقدمين، وهانا، والصوت المصاحب له، وجميعها كيانات تتغير هويتها وفقًا للحاجة السردية، وفي الاقتباس التالي يتضح الغرض من حضور الصوت المصاحب للبطل، وقد اختفى ذلك الصوت عندما اضطلع بدوره الإرشادي أهل قرية الأقدمين:

[1] K. W. Wamitila, Op.Cit. Uk.19.
[2] Faustine S., Op.Cit. Uk.146.

“Yule mwenzangu aliyekuwa akiniandama na kunigota mgongoni alishapotelea mbali au kuzama kwenye akili yangu tu! Sikumhitaji kwa kuwa wenyeji wangu walinitunza kama mmoja wao.[1]”

"لقد ابتعد رفيقي الذي كان يصاحبني ويدفعني في ظهري وربما كان قد اختفى مختبئًا في أفكاري ليس إلا! لم أعد في حاجة إليه فقد كان أهل القرية يعتنون بي وكأنني واحد منهم."

- **استخدام المفارقات والارتباك السردي:** تعتمد الرواية على عنصر الالتباس السردي الذي يترك القارئ في حيرة دائمة حول هوية البطل. ففي نهاية الرواية، يظل السؤال معلقًا: هل البطل هو المسافر نفسه أم أنه (چاجينا)، شقيقه المتوفى؟

“Alikufa baada ya kupigwa na radi na hata kuharibika jicho la kushoto. Lakini alirudi ulimwenguni kupitia kwako wewe, yaani wewe ni Jagina wa pili!”[2]

"لقد مات بعد أن ضربه الرعد وأفسد عينه اليسرى. لكنه عاد إلى الدنيا من خلالك، وهذا يعني أنك أنت جاجينا الثاني!"

وهذا الالتباس يعد جزء لا يتجزأ من الواقعية السحرية التي تميز السرد، حيث تذوب الحدود بين الحقيقة والخيال، ويصبح البطل شخصية ذات طبيعة متغيرة وغير ثابتة.

- **التحولات في شخصية البطل:** تتغير شخصية البطل عبر مراحل رحلته، حيث يخضع لتحولات جسدية ونفسية تعكس تأثير البيئات التي يمر بها. في قرية الأقدمين، يتحول إلى طفل صغير يلعب مع أطفال القرية، مما يشير إلى الطبيعة المتغيرة لشخصيته وقدرته على التأقلم مع محيطه. كما يتعرض للضرب من قبل الصوت المصاحب له وهو قوة غير مرئية، ويسمع أصواتًا مجهولة بالنسبة له، مما يرسّخ الجانب السحري والغامض لرحلته[3].

[1] K. W. Wamitila, Op.Cit. Uk.18.
[2] K. W. Wamitila, Op.Cit., Uk.58.
[3] Stella Faustine, “Mtindo wa Uhalisiajabu katika Riwaya ya Kiswahili,” *Kioo cha Lugha* 21, no. 1 (June 2023): Uk.101, https://dx.doi.org/10.4314/kcl.v21i1.6.

"Kadiri tulivyotembea ndivyo hali yangu ilivyobadilika. Kile kiatu kimoja kilitoweka na hata soksi yenyewe ikapotea. Mikono yangu iliyokuwa ya kitoto iliiambukiza sehemu nyingine za mwili kiasi kwamba tulipokuwa tukikaribia ilikokuwa ile mlima nilikuwa mbilikimo.[1]"

"كلما مشينا تغيرت هيئتي. اختفت فردة الحذاء التي كنت أردتديها وضاع الجورب. وصغرت يداي فأصبحتا مثل يدي الطفل وكذلك صارت جميع أجزاء جسدي حتى إننا عندما اقتربنا من وجهتنا بالقرب من ذلك الجبل كنت قد صرت قزمًا."

2. **شخصية (P. P.) أو (بيتر بان):** يُعدّ العملاق P. P. الشخصية الشريرة المحورية في الرواية، فهو العدو الأبدي لبطل الرواية ابن آدم، ويجسّد قوى الإمبريالية والعولمة المدمرة. يمثل P. P. الولايات المتحدة الأمريكية بكل ما تحمله من استغلال ونهب للبلدان، حيث يعوق الوصول إلى الحقائق ويُخفي خلف وعوده البراقة حقيقة الظلم والدمار. يتميز بصفات جسدية خارقة تحمل سمات وحشية مثل الخوار المنسوب إلى الحيوانات المفترسة، مما يجعله رمزًا للقوة التي تتجاوز القدرات البشرية العادية. وعلى الرغم من هذه الصفات الفيزيائية المدهشة، يمتلك وعيًا وقدرة على التواصل والتلاعب بالكلام، ما يمنحه بُعدًا أسطوريًا يجمع بين الطبيعة البشرية والعناصر الخارقة، وهي من أهم سمات الواقعية السحرية التي تدمج الواقع بالخيال. ومن العلامات المميزة له انبعاث رائحة التيس من جسده، وهي ليست مجرد صفة غرائبية، بل تخفي دلالة سردية مشحونة بالرمزية، إذ تشير كلمة beberu في اللغة السواحيلية إلى التيس، لكنها تحمل أيضًا معنى الاستعمار، مما يضفي على هذه الصورة أبعادًا نقدية وسياسية. كما يُعتبر التيس في بعض الثقافات رمزًا للشيطان أو للقوى الشريرة، كما في المسيحية حيث يُربط بإبليس، وهو ما يعزز الطبيعة المزدوجة لهذا العملاق بوصفه كيانًا يجمع بين السيطرة والقوة، وبين الشر الخفي المتخفي تحت قناع القوة الأسطورية. بهذا الأسلوب، يوظف واميتيلا عنصرًا لغويًا

[1] K. W. Wamitila, Op.Cit., Uk.32.

وثقافيًا لخلق معانٍ متعددة تتجاوز المستوى الظاهري للسرد، متيحًا بذلك قراءة تأويلية تتقاطع فيها السياسة مع الميثولوجيا.

"Nilikaribia lakini nikalazimika kurudi nyuma baada ya kuinusa harufu mbaya ya beberu. Lazima jitu hilo lilitambua na kujigeuza nyuma.[1]"

"اقتربت لكنني اضطررت إلى التراجع بعدما شممت رائحة التيس الكريهة. لابد أن هذا العملاق اكتشف الأمر وغير اتجاهه عائدًا للوراء."

– **رمزية مزدوجة وتناقضات في الشخصية:** يتجلى التناقض في شخصية P .P. من خلال وجهين متباينين؛ ففي أحدهما يظهر الجانب الغاشم القاس الذي يفرض هيمنته بقوة، ويدمّر الحضارات، بينما يظهر الجانب الآخر بصورة متلطفة ومراوغة تُشبه الوعود الكاذبة التي تُقدمها العولمة. هذا التباين يبرز ازدواجية النظام العالمي الذي يغلف ممارساته الوحشية بواجهة من البراءة والمودة، فيُفقد تلك الممارسات مصداقيتها ويكشف عن وجهها الحقيقي.

– **التحولات الزمنية والمكانية:** يمتاز P. P. بقدرته على تغيير شكله ووصفه تبعًا للحقبة الزمنية أو البيئة التي يظهر فيها؛ فمن الحقبة الاستعمارية التقليدية مرورًا بنموذج السوق الحر والرأسمالية العالمية وصولًا إلى الزمن الحالي، يختلف تصويره مع تغير السياق التاريخي والسياسي. يعكس هذا التحول المستمر أن العولمة ليست ظاهرة ثابتة، بل هي متجددة تتبنى أشكالاً جديدة من الهيمنة والاستغلال كما يعود ثعبان الهيدرا إلى الحياة وهو التشبيه الذي استخدمه الكاتب في الاقتباس الآتي لتوضيح طبيعة العملاق:

"Unajua mimi ni kama *hydra*? Vichwa vyangu ni vingi mno. Nina uwezo wa kufa na kufufuka!"[2]

[1] K. W. Wamitila, Op.Cit., Uk.14.
[2] K. W. Wamitila, Op.Cit., Uk.64.

"أتعلم أنني مثل ثعبان *الهيدرا؟* فلدي العديد من الرؤوس. كما أنني أُبعَث بعد الموت!"

- **وجه الطفل والاستهتار في التصرف:** يحمل اسمه الكامل Peter Pan دلالة مزدوجة؛ فهو يستحضر صورة الطفل الذي يتمتع ببراءة ظاهرية ولكنه يتصف بالاستهتار وعدم تحمل المسؤولية. كما هو معروف عن بيتر بان، الذي يعيش في عالم من الخيال ويرفض النضوج، يظهر P .P. بتصرفات طفولية مستهترة، يتلاعب بمشاعر الشعوب ويقدم وعوداً زائفة دون إدراك حقيقي للعواقب، مما يعكس غياب الوعي الأخلاقي في سياسات العولمة التي تتسبب في دمار حقيقي كما يتضح خلال الاقتباس الآتي الذي يعكس الطبيعة المتناقضة للعملاق الضخم الذي عاث في الأرض فسادًا وعلى الرغم من ذلك فهو له وجه طفل، ويعكس ذلك الطبيعة المستهترة والرغبات النزقة الطفولية للولايات المتحدة:

"Nililitulizia macho usoni! *Mashalaa! Hapana haiwi, kabisa,* nilishangaa. Ulikuwa uso wa mtoto, tena mtoto saana.[1]"

"استقرت عيناي على وجهه! *ما شاء الله! أمر لا يصدق، على الإطلاق،* أصابتني دهشة عظيمة. كان وجهه وجه طفل، طفل صغير للغاية."

من خلال تصويره الذي يمزج بين القوة الوحشية والوجه الطفولي، يُسلّط الكاتب الضوء على ازدواجية النظام العالمي وكيفية استخدام القوى الاستغلالية للوعود البراقة لتغليف سياساتها المدمرة، مما يجعله العدو الأبدي لبطل الرواية ورمزًا للشر في زمننا الحالي.

3. **شخصية (هانا):** تُعدُّ شخصية هانا في رواية ابن آدم تجسيدًا بارزًا للواقعية السحرية، حيث تظهر ككائن غامض يتنقل بين الأزمنة والأشكال، مُستخدمةً التراث السواحيلي كأداة لتوجيه البطل. تتجلى هانا في أشكال متعددة؛ فتارة تشبه زوجة البطل، وتارة جدته، وأحيانًا تظهر كشخصية غامضة بملامح غير محددة، ما

[1] K. W. Wamitila, Op.Cit., Uk.150.

يعكس طابعًا سحريًا يتجاوز قوانين الواقع ويُعدّ من السمات الجوهرية في الواقعية السحرية. ومن خلال هذه التحولات ودورها كمرشدة، تُعبّر هانا عن الصراع العميق للهوية الإفريقية في مواجهة العولمة والاستعمار الجديد، حيث تختلط الأزمنة والأماكن والذكريات، فتتحول إلى رمز للتغيرات الثقافية والانقسام بين الماضي والراهن، مما يجعلها عنصرًا محوريًا في فهم أبعاد الرواية السحرية:

"Ajabu nilipomwangalia vizuri niliona akichukua sura ya yule mzee …. Sikujua kama nilikuwa nikitembea kuelekea jana au kwenda kesho au labda nilikuwa leo."[1]

"والغريب أنني عندما دققت النظر فيها رأيت صورتها تتغير متخذة شكل ذلك الشيخ...لم أعلم إن كنت أسير متجهًا إلى الماضي أو المستقبل أو ربما كنت في الحاضر."

إن تحولات هانا بين هيئة الزوجة والجدة والكائن الغامض تُجسّد اندماج العادي بالعجائبي، حيث تتلاعب بالزمن والهوية في آن واحد، وهو ما يُبرز جوهر الواقعية السحرية. وهذه التحولات تمنحها طابعًا رمزيًا يتجاوز الواقع، بالإضافة إلى أن سمات الشخصية المختلطة (زوجة، جدة، مرشدة)، تعكس صورة الهوية الإفريقية المركبة التي تتشكل تحت تأثير العولمة والاستعمار الجديد. وهذا التعدد في الهوية يُظهر الصراع بين الجذور الثقافية والواقع المعاصر.

- **هانا مرشدة روحية:** تقوم هانا بتوجيه البطل عبر رحلته، مستخدمةً أمثالًا سواحيلية وحكايات تراثية لتوجيهه نحو المسار الصحيح. هذا الدور يضعها في موقع المرشد الروحي الذي يعكس حكمة الأجداد والتراث الإفريقي.

"Umeuliza swali hilo mapema mno! Ulikotoka hukufunzwa *haraka haraka haina baraka*?"[2]

[1] K. W. Wamitila, Op.Cit., Uk.40.
[2] Ibid., Uk.23.

"لقد سألت هذا السؤال قبل أوانه بكثير! ألم يعلموك حيث نشأت أن *في العجلة الندامة؟*"

إن استخدامها للأمثال السواحيلية يُظهر ارتباطها بالتراث الشفاهي الإفريقي، مما يجعلها جسرًا بين الماضي والحاضر، وهذا التفاعل بين التراث والواقع المعاصر يُعدُّ عنصرًا رئيسًا في الواقعية السحرية.

- **هانا رمزٌ للصراع بين التراث والعولمة:** من خلال توجيهها للبطل، تكشف هانا عن التناقضات بين التراث الإفريقي وقوى العولمة. فهي تظهر في سياقات تُبرز استغلال الموارد الإفريقية–مثل المعادن–من قبل القوى الخارجية، مما يعكس النقد الاجتماعي والسياسي الذي تتضمنه الرواية:

"Walihimizwa kuyachimba kwa ahadi ya kulipwa lakini mpaka leo hawana walichokiona! Waliofaidi ni waliowapora madini yenyewe!"[1]

"لقد حثوهم على الحفر وعاهدوهم بدفع أجورهم لكنهم لم يحصلوا عليها حتى اليوم! ومن استفادوا هم أولئك من سرقوا المعادن!"

في هذا الاقتباس، توجّه هانا كلامها للبطل في أثناء مرورهم بمجموعة من العمال المظلومين، كاشفةً بوضوح عن استغلال الموارد الإفريقية تحت وعود زائفة من قبل قوى خارجية. إن كلماتها تجسد وعيها العميق بالصراع بين التراث الإفريقي القائم على العدالة والتكافل، وبين العولمة التي ترتبط بالنهب والاستغلال، مما يُعزّز رمزيتها بأنها صوتٌ ناقدٌ داخل نسيج الواقعية السحرية في الرواية.

- **هانا تجسيد للواقعية السحرية: الشخصية المجردة:** هانا ليست مجرد شخصية واقعية، بل هي تجسيد لفكرة أو موقف. فهي تمثل الذاكرة الجمعية، الحكمة التراثية، والصراع بين الماضي والحاضر. هذا التحول من الملموس المادي إلى المجرد يُعدُّ سمةً رئيسيةً في الواقعية السحرية:

[1] K. W. Wamitila, Op.Cit., Uk.29.

"*Kila mwanamume ana Hanna wake na yeyote anayeshindwa kumwelewa huwa ameangamia!*"[1]

"كل رجل له هانا الخاصة به ومن يعجز عن التعرف إليها فقد دمر نفسه!"

يعكس تصوير هانا في هذا السياق إسقاطًا رمزيًا على دور المرأة في حياة الرجل، حيث تُجسد المرأة قوة تربط الماضي بالحكمة والنجاة. وذلك الاقتباس يُبرز هذا المعنى بوضوح، فـ"كل رجل له هانا" يشير إلى أن المرأة ضرورة وجودية، ومن يجهل قيمتها يهلك. إنها تمثل المرأة بوصفها مرشدة للروح والعقل معًا.

- **هانا أداة سردية للتعبير عن الصراعات الداخلية:** من خلال تفاعلها مع البطل، تكشف هانا عن الصراعات الداخلية التي يعانيها البطل نفسه، خاصةً فيما يتعلق بهويته ودوره في مواجهة الاستعمار الجديد. هذا التفاعل يُظهر كيف تُستخدم الواقعية السحرية لاستكشاف الأبعاد النفسية للشخصيات:

"*Kila mwanamume ana Hanna wake,* niliyakariri yale maneno tena.[2]"

*"*رددتُ تلك الكلمات مرة أخرى، *كل رجل له هانا الخاصة به"*

تُجسِّد شخصية هانا ملامح الواقعية السحرية من خلال غموضها الرمزي وتحولاتها الشكلية. كما تمثل صراع الهوية الإفريقية مع تأثيرات العولمة، وتؤدي دورًا توجيهيًا مرتبطًا بالتراث. بذلك، تصبح أداة سردية بارزة لاستكشاف قضايا الهوية والاستعمار الجديد.

4. الصوت المصاحب للبطل أو الشيخ: أولًا: الهوية الرمزية للصوت المصاحب:

الصوت المصاحب في ابن آدم ليس مجرد شخصية ثانوية، بل هو كيان رمزي يعكس مزيجًا من التقاليد، والحكمة المتوارثة، والمرشد الخفي الذي يقود الإنسان في رحلته نحو الحقيقة. وفي إطار الواقعية السحرية، يتجاوز هذا الصوت دوره المعتاد

[1] Ibid., Uk.61.
[2] K. W. Wamitila, Op.Cit., Uk.16.

بصفته مرشد روحي أو صوت داخلي للبطل ليصبح عنصرًا فاعلًا في تشكيل الأحداث، مؤديًا دورًا مزدوجًا بين التوجيه والتوبيخ، وبين الحماية والتحدي. وعلى الرغم من أن البطل لا يرى الشيخ صاحب الصوت، فإن تأثيره ملموس في رحلته، سواء من خلال التوجيه أو العقاب الجسدي. في أحد المواقف، عندما كان البطل يتوكأ على العصا التي أعطاه إياها الصوت، فاجأه الصوت بزجره وصفعه مخبرًا إياه إن تلك العصا لا تُستخدم للاتكاء وإنما للاسترشاد، وهنا يظهر دوره بصفته قوة غير مرئية لكنها تفرض وجودها، مما يعكس التداخل بين الواقع والسحر، حيث تصبح العناصر غير المادية جزءًا من التجربة المادية للبطل:

"Lakini nililazimika kuiacha tabia hii nilipotandikwa bakora la makalio na kuambiwa, *Unadhani umepewa fimbo ya kufugia? Hiyo ni heshima kubwa.*[1]"

"لكنني كففت عن ذلك الأمر عندما ضُربت بالعصا على ظهري وقيل لي: *أتظنها عصا رعي؟ إن الإمساك بهذه العصا شرف كبير.*"

وهنا يظهر الصوت المصاحب للبطل بصفته أداة تربوية صارمة؛ فهو لا يقدم المعرفة بسهولة، بل يجعل البطل يتعلم من خلال الصدمات والمواقف القاسية. وهذا الأسلوب الصارم في التوجيه يعكس القيم التربوية الإفريقية التقليدية، حيث يكون التعلم تجربة عملية قائمة على الاختبار، وليس مجرد تلقي للمعلومات.

- **المرشد الغامض بين الحكمة والصمت:** يظهر الصوت المصاحب في صورة كيان مليء بالحكمة، لكنه في الوقت نفسه لا يمنح البطل إجابات جاهزة، بل يتركه يكتشفها بنفسه. عندما يسأله عن حقيقة العملاق، يرفض إعطاء إجابة مباشرة، قائلًا:

"Una mengi ya kujifunza. Mwanzo twende ukakutane na mwingine na mwingine na usipowajua nitakuekeza hatimaye"[2]

[1] K. W. Wamitila, Op.Cit., Uk.13.
[2] Ibid., Uk.15.

"أمامك الكثير لتتعلمه. أولًا فلنذهب ونلتقي بآخرين أمثاله وإن عجزت في التعرف إليه فسأخبرك في النهاية."

وهنا، يُظهر الصوت فلسفة التوجيه عبر التحفيز الغامض، وهو عنصر شائع في الواقعية السحرية، حيث تكون المعرفة غير كاملة، وتتطلب رحلة طويلة لفهمها.

- **الحضور في الزمن المضطرب:** الزمن في الواقعية السحرية ليس خطيًا، ومع ذلك يستمر ظهور الصوت في مختلف الأزمان في الرواية؛ فيظهر في الماضي والحاضر والمستقبل. عندما يسأل البطل عن سكان الجبال، يجيبه الصوت بسخرية:

"Utaambiwa mara ngapi wewe Bina-Adamu? Hamna leo hapa; kuna jana na kesho tu!"[1]

هذا الرد يشير إلى طبيعة الصوت التي لا تتقيد بالزمن التقليدي، مما يعزز الفكرة السردية بأن الرحلة التي يخوضها البطل تتجاوز الزمن المادي إلى أفق رمزي أوسع.

- **الصوت مرجعًا للذاكرة الجماعية والتاريخ:** الصوت لا يقتصر على توجيه البطل، بل يعد مرجعًا تاريخيًا يربط الحاضر بالماضي. ففي أحد المواضع في الرواية، همس الصوت في أذن البطل مخبرًا إياه بأن حالة الشعوب المزرية ليست مشهودة في البلاد الإفريقية فقط بل في كل الأقطار، في بلاد وينستون تشرشل وشارل دي جول، ويقصد بذلك بريطانيا وفرنسا، وهنا يتحول الصوت إلى حكيم سياسي، يربط مصير الشعوب ببعضها بعضًا، ويكشف أبعاد العولمة وتأثيرها على المجتمعات، مما يعكس أحد أبعاد الواقعية السحرية التي تربط الأحداث الفردية بالسياقات العالمية:

"Nilihisi nikigongwa na yule mwenzangu aliyeninong'onezea sikioni, *Ndilo kosa kuu hili. Wanapuuza na hawa wanaendelea kusambaa sio hapa tu bali hata kwa akina Gaulle na Churchill.*[2]"

[1] K. W. Wamitila, Op.Cit., Uk.32.
[2] Ibid., Uk.38.

"شعرت أن رفيقي يضربني ثم همس في أذني، *ذلك هو الخطأ الأكبر. إنهم يتغافلون بينما يستمر مثل أولئك الناس في الانتشار ليس هنا فقط بل حتى في بلاد دي جول وتشرشل*"

يكشف الاقتباس عن تحول الصوت إلى ضمير جمعي واعٍ، يربط أزمة الواقع المحلي بمنظومة عالمية أوسع؛ حيث يتجاوز الإرشاد ليتناول نقدًا سياسيًا عابرًا للحدود، في انسجام مع طابع الواقعية السحرية.

رابعًا: اختفاء الصوت دلالة على نضج البطل: إن اختفاء الصوت في مراحل من الرحلة يرمز إلى نضوج البطل واستعداده لمواجهة مصيره بمفرده. يمثل هذا التحول نضجًا داخليًا يعكس جوهر الواقعية السحرية، حيث تتفوق التجربة الذاتية على التوجيه الخارجي. ويعد الصوت امتدادًا للذاكرة الجمعية والتقاليد فقد كان دليلًا روحانيًا وأبويًا، يختفي فقط حين يكتمل وعي البطل. بذلك، لا يعد الصوت شخصية ثانوية بل جوهر التجربة الروحية ومسار التحول الداخلي:

"Yule mwenzangu aliyekuwa akiniandama na kunigota mgongoni alishapotelea mbali au Kazama kwenye akili yangu tu![1]"

"لقد ابتعد رفيقي الذي كان يصاحبني ويدفعني في ظهري وربما كان قد اختفى مختبئًا في أفكاري ليس إلا!"

يبرز هذا الاقتباس أن دور الصوت مرتبطٌ بمراحل محددة من الرحلة، وحين يتم مهمته يختفى، ليترك البطل يواجه مصيره ويواصل نموه الروحي والفكري.

- الأبناء الثلاثة الخنثى:

أولًا: الهوية الرمزية للأبناء الثلاثة الخنثى: إن الأبناء الثلاثة الخنثى في الرواية ليسوا مجرد شخصيات غريبة، بل يمثلون كيانات رمزية معقدة تجسد التداخل بين الأسطورة والواقع السياسي ضمن نسيج الواقعية السحرية. فهم ليس لهم شكل

[1] K. W. Wamitila, Op.Cit. Uk.18.

مادي، بل يُسمعون دون رؤيتهم، وتحمل ضحكاتهم المريبة أثرًا حقيقيًا في مصير القرية، مما يجعل حضورهم ملموسًا، كما يرتبطون باللعنة والخراب، حيث يُنظر إليهم بصفتهم قوى خفية مسؤولة عن الكوارث، تمامًا كما تُفسر المجتمعات مصائبها من خلال رموز تتجاوز الفهم المباشر. إنهم مثال حيّ على الكيفية التي تدمج بها الواقعية السحرية الكائنات الغرائبية في الواقع دون أن تفقد مصداقيتها الرمزية:

"Walilaaniwa na lazima waondolewe ulimwenguni kuiondoa laana inayotanda juu ya anga ya Kijiji, tulisimuliwa kila wakati."[1]

هذا يجعلهم شبيهي الكائنات الأسطورية التي يُنسب إليها كل ما هو غامض وغير مفهوم، وهو عنصر أساسي في الواقعية السحرية حيث تمتزج الأسطورة بالواقع السياسي والاجتماعي.

ثانيًا: دلالات الأبناء الثلاثة الخنثى: 1. الأبناء الثلاثة رمز للإمبريالية والرأسمالية والطمع: يكشف واميتيلا عن أبعاد رمزية لهذه الشخصيات من خلال أسمائها، التي تشير إلى مفاهيم سياسية واقتصادية:

Abubepar مشتقة من (Ubeberu) وتعني الإمبريالية، Binberu مشتقة من (Ubepari) وتعني الرأسمالية، Mwajihawaa تحتوي على كلمة (Hawaa) التي تعني الأطماع، وكذلك فإن ازدواجية طبيعة الأبناء الثلاثة بكونهم خنثى يحمل دلالات رمزية متعددة، فهم يجسدون التناقضات في الفكر السياسي والاجتماعي؛ فيمثلون ازدواجية الاستعمار بصفته قوة تدعي التقدم لكنها تدمر المجتمعات، وازدواجية الرأسمالية التي توفر فرصًا للشعوب لكنها أيضًا تفرض استغلالًا اقتصاديًا. كما تمثل ازدواجية الطمع البشري الذي يقود إلى التوسع لكنه يسبب الفوضى:

[1] K. W. Wamitila, Op.Cit. Uk.18.

"Alikuwa yule babu wa Zakongwe. 'Unakimbiza huntha wasioonekana kama wewe. Wanatokeza katika matendo ya fikira!' 'Unasemaje?' 'Ndiyo, wanatokeza katika hali hizo!' Unayajua majina yao?' 'Abubepar, Binberu na Mwajihawaa!'[1]"

"كان من أمسكني هو ذلك الشيخ من قرية الأقدمين وقال: 'أتهرب من الأبناء الخنثى الذين لا يمكن رؤيتهم مثلك تمامًا. إن وجودهم فكري مجرد فقط!' 'ماذا تقول؟' 'أجل، هم موجودون في الأذهان فقط!' 'أتعرف أسماءهم؟' 'أبوبيبار، وبينبيرو ومواجيهاوا!'"

الاقتباس يكشف البعد الرمزي العميق للأبناء الثلاثة الخنثى بوصفهم تمثيلًا فكريًا للإمبريالية والرأسمالية والطمع، حيث تُجسد أسماؤهم وطبيعتهم قوى مدمّرة وغير مرئية تتحكم في المجتمعات. الاقتباس يدعم هذا الطرح بتأكيده أن وجودهم "في الأذهان فقط"، مما يعزز الطابع الرمزي المجرد لهذه الكيانات.

رابعًا: العلاقة بين الأبناء الثلاثة والعملاق P.P.: ترمز ضحكات الأبناء الثلاثة عند اقتراب البطل من العملاق .P.P إلى العلاقة بينهم وبين القوة العظمى التي يمثلها، أي الولايات المتحدة. فهُم تجسيد رمزي للرأسمالية والإمبريالية والطمع، وازدواجية جنسهم تعكس تناقضات القوى العالمية. وجودهم يتجاوز الزمان والمكان، ليُصوَّروا في صورة قوى فكرية عالمية تفرض لعنتها على البشرية:

"Miguu yake ilikuwa mikubwa ajabu. Nilirudi nyuma kuweza kuliona vizuri lakini likarefuka nikashindwa kuliona vizuri. Upande wa nyuma nilisikia sauti ya wasichana-wavulana, wale huntha, wakicheka.[2]"

"قدماه كانتا كبيرتين بشكل مذهل. عدت إلى الوراء لأراه جيدًا لكنه وقف منتصبًا فعجزت عن رؤيته جيدًا. ومن الخلف سمعت صوت الأبناء الخنثى، يضحكون."

[1] Ibid., Uk.154.
[2] K. W. Wamitila, Op.Cit. Uk.14.

تشير الفقرة إلى أن ضحكات الأبناء الثلاثة عند ظهور العملاق تجسد العلاقة الرمزية بينهم وبين القوى الإمبريالية التي يمثلها، مما يعكس كيف تُستخدم الواقعية السحرية لفضح تواطؤ الرأسمالية والطمع مع أنظمة الاستغلال العالمي.

- شخصيات تاريخية ظهرت في الرواية:

1. **يوسف منجيل:** تظهر شخصية يوسف منجيل في الرواية بوصفه شبحًا متواريًا خلف العلماء والأكاديميين، نظراته تحمل إحساسًا بالخجل وكأنه يحاول الاختباء من ماضيه الدموي. لكن واقعيًا، لا يُعرف عن منجيل أي شعور بالندم، إذ واصل هروبه بعد الحرب حتى وفاته في البرازيل دون محاكمة[1]. هنا، يبرز عنصر الواقعية السحرية في تصوير شخصية تاريخية مرعبة بأسلوب رمزي يضفي عليها بعدًا أسطوريًا يتجاوز الواقع التاريخي الصارم. ويوسف منجيل هو طبيب النازية الملقب بـ "ملك الموت"[2]، كان رائدًا في تجارب التطهير العرقي، مستخدمًا الأبحاث العلمية غطاءً لوحشية ممارساته في معسكر أوشفيتز النازي[3]. في الرواية، يتماشى ظهوره مع مفهوم "الانتقاء العرقي" في محاولة لخلق عرق نقي، وهو ما يعكس خطاب الهيمنة الاستعمارية والعنصرية الذي لم ينتهِ بانتهاء الحرب العالمية الثانية، بل استمر بأشكال أخرى في السياقات الحديثة، كما توضح الرواية من خلال الإشارة إلى الصراعات المعاصرة والاضطهاد المستمر للمجموعات المهمشة:

"Nyuma kabisa kulikuwa na jamaa aliyevalia joho jeupe…. Mmmm, anaitwa Dr. Joseph Mengele!"[4]

"وفي مؤخرة المجموعة كان هناك شخص يرتدي معطفًا أبيض...هممممم، اسمه الدكتور يوسف منجيل"

[1] Gerald L. Posner and John Ware, *Mengele: The Complete Story* (New York: McGraw-Hill, 1986), P.210.
[2] Ibid., P. xvii
[3] Ibid., PP.19, 58
[4] K. W. Wamitila, Op.Cit. Uk.39.

تُظهر الفقرة كيف توظف الرواية شخصية يوسف منجيل لتعرضه في صورة رمز مرعب يختبئ خلف قناع العلم، مما يعكس استمرار عنف الماضي في ثوب معاصر. ويُبرز حضور منجيل ضمن الواقعية السحرية تَحوّله من مجرد شخصية تاريخية إلى رمز يمثل الاستعمارية والعنصرية التي لا تزال تلقي بظلالها على الحاضر.

2. **شخصية إكس X (مالكوم إكس):** يُعد مالكوم إكس (1925–1965) أحد أبرز رموز النضال ضد العنصرية في الولايات المتحدة. نشأ في بيئة قاسية حيث واجه التمييز منذ صغره[1]، ومرّ بتحولات فكرية كبيرة، من الجريمة والانحراف إلى أن أصبح أحد أكثر الأصوات تأثيرًا في حركة الحقوق المدنية، خاصة من خلال دعوته إلى تحرر السود واستقلاليتهم. كان خطيبًا بارعًا وداعيًا إلى الفخر العرقي للأمريكيين من أصل إفريقي، ودافع عن فكرة مواجهة الظلم بقوة إذا لزم الأمر. اغتيل عام 1965 بعد انشقاقه عن جماعة أمة الإسلام وتبنيه رؤية أكثر شمولية لمقاومة الاضطهاد[2]. ويمثل إكس في الرواية رمزًا لفكر مالكوم إكس ونضاله، خاصة عند استقباله للبطل في "حدائق عدن الثانية"، مما يرمز لأمريكا كأرض المهجر والجذور الإفريقية. اللقاء يعكس فكرة العودة للهوية والوعي التاريخي، وهي أسس فكر مالكوم. وفي رحلته يرى البطل مقابر ضحايا التجارب الطبية في قرية يسكنها أشخاص يشبهون إكس، مما يبرز العنصرية المؤسسية التي نددت بها مالكوم، ويصل البطل إلى لحظة مأساوية بمقتل إكس على يد الشرطة بتهمة السرقة، مما يعكس واقع الاضطهاد. ويتجدد وعيه بمعاناة السود عندما يواسي الحشود، مدركًا أن التغيير يتطلب مواجهة الظلم. وقبيل مغادرة البطل لذلك الفضاء المكاني، يمنحه أحد الشيوخ كتاب The Souls of Black Folks أو أرواح السود للكاتب ويليام دوبوا، تأكيدًا على أهمية الوعي بالتاريخ لفهم الحاضر. تضمين الكتاب يُبرز رسالة مالكوم إكس حول ارتباط النضال المعاصر بجذوره الفكرية والتاريخية.

[1] Malcolm X and Alex Haley, *The Autobiography of Malcolm X*, ed. M. S. Handler (New York: Ballantine Books, 1992), 47.

[2] Ibid., PP. 6, 11.

"Aliinama na kukichukua kitabu kilichokuwa hapo karibu na kunikabidhi. Nilikichukua na kuiangalia anwani yake: *The Souls of Black Folk.*[1]"

"نهض والتقط كتابًا كان بالقرب منه ثم ناوله إليّ. فأخذت الكتاب ونظرت إلى عنوانه: *أرواح السود*"

وبهذا تجسد شخصية إكس النضال من أجل العدالة العرقية، وتؤكد الرواية على أهمية التاريخ لتحقيق التحرر. كما ترمز رحلة البطل إلى تجربة العبيد، ولقاؤه بإكس يعكس صحوته الفكرية، بينما يرمز مقتل إكس إلى استمرار العنف العنصري. ويُبرز الكتاب في النهاية أن الوعي هو طريق الخلاص.

- **الخاتمة ونتائج البحث:**

يتبيّن من خلال دراسة رواية ابن آدم لكيالو واميتيلا أن الواقعية السحرية فيها تتجاوز كونها تقنية جمالية، لتصبح أداة فكرية تعبّر عن صراعات الهوية والذاكرة والسلطة في سياق ما بعد الاستعمار. فبناء الشخصيات يتم عبر تداخل الواقعي بالأسطوري، واستحضار رموز من التاريخ والواقع في فضاء سحري متعدد التأويلات، ما يمنح الرواية عمقًا دلاليًا يعكس أزمة الإنسان الإفريقي بين الجذور والتغيرات المعاصرة. وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. تُبرز الرواية السواحيلية براعة في توظيف الواقعية السحرية لطرح قضايا الهوية والتاريخ والواقع، عبر دمج الخيال بالواقع بسرد متماسك.
2. في ابن آدم، تُبنى الشخصيات رمزيًا وسحريًا، فتجسّد أفكارًا كونية أو تُستحضر بقراءة جديدة تخدم السرد.
3. تتيح الواقعية السحرية تحرر الشخصيات من الزمان والمكان، مما يمنحها طابعًا غرائبيًا قابلًا للتأويل.
4. يكشف البناء السردي للشخصيات أن الواقعية السحرية تعيد تعريف "الواقعية"، وتفتح آفاقًا نقدية تتجاوز السرد الكلاسيكي.

[1] K. W. Wamitila, Op.Cit. Uk.126.

- **مصادر ومراجع الدراسة:**

– مصادر البحث:

- Wamitila, Kyallo Wadi. *Bina-Adamu*. Nairobi: Phoenix Publishers, 2002.

المراجع الأجنبية:

1. Azizi, Mohammad, Amir Rajabi, and Mahdi Akbari. “Magical Realism: The Magic of Realism.” Rupkatha Journal on Interdisciplinary Studies in Humanities 12, no. 5 (2020). https://dx.doi.org/10.21659/rupkatha.v12n2.18.
2. Cooper, Brenda. Magical Realism in West African Fiction: Seeing with a Third Eye. New York: Routledge, 2004.
3. Faustine, Stella. Falsafa ya Waafrika na Ujenzi wa Mtindo wa Uhalisiajabu katika Riwaya ya Kiswahili. Dodoma: Chuo Kikuu cha Dodoma, 2017.
4. Faustine, Stella. “Mtindo wa Uhalisiajabu katika Riwaya ya Kiswahili.” Kioo cha Lugha 21, no. 1 (June 2023). https://dx.doi.org/10.4314/kcl.v21i1.6.
5. Faris, Wendy B. Ordinary Enchantments: Magical Realism and the Remystification of Narrative. Nashville: Vanderbilt University Press, 2004.
6. George, Olakunle, ed. A Companion to African Literatures. Hoboken, NJ: Wiley-Blackwell, 2021.
7. Khamis, Said A. M. “The Swahili Novelist at the Crossroads: The Dilemma of Identity and Fecundity.” Swahili Forum, no. 14 (2007). https://doi.org/https://d-nb.info/1238077730/34.
8. Khamis, Said A. M. “Fragmentation, Orality and Magic Realism in Kezilahabi’s Novel Nagona.” Nordic Journal of African Studies 12, no. 1 (2003).
9. Malcolm X, and Alex Haley. The Autobiography of Malcolm X. Edited by M. S. Handler. New York: Ballantine Books, 1992.
10. Nyabunga, V. A. Uhakiki wa Bina-Adamu! (2002) na Musaleo! (2004) na K.W. Wamitila. Undergraduate diss., University of Nairobi, Department of Kiswahili and African Languages, 2005.

11. Posner, Gerald L., and John Ware. Mengele: The Complete Story. New York: McGraw-Hill, 1986.
12. Rajabi, Amir, Mohammad Azizi, and Mahdi Akbari. “Magical Realism: The Magic of Realism.” Rupkatha Journal on Interdisciplinary Studies in Humanities 12, no. 5 (2020). https://dx.doi.org/10.21659/rupkatha.v12n2.18.
13. Slemon, Stephen. “Magic Realism as Postcolonial Discourse.” Canadian Literature, no. 116 (1988): 11–20.
14. Suma, H. P. “Magical Realism: Fascinating World of Evolving Imagery.” International Journal of Creative Research Thoughts 6, no. 4 (2018): 381. Accessed June 23, 2024. http://www.ijcrt.org.
15. Takolander, M. K. “Theorizing Irony and Trauma in Magical Realism: Junot Díaz’s The Brief Wondrous Life of Oscar Wao and Alexis Wright’s The Swan Book.” ARIEL: A Review of International English Literature 47, no. 3 (2016): 95. https://doi.org/10.1353/ari.2016.0024.
16. Warnes, Christopher. Magical Realism and the Postcolonial Novel: Between Faith and Irreverence. London: Palgrave Macmillan, 2009.
17. Wamitila, K. W. Bina-Adamu. Nairobi: Phoenix Publishers, 2002.
18. Zamora, Lois Parkinson, and Wendy B. Faris, eds. Magical Realism: Theory, History, Community. Durham: Duke University Press, 1995.